أهمية العمل المهني في الإسلام

الباحث/ فهد ساير محمد

الفقه الإسلامي فيه جانبان متلازمان هما العبادات والمعاملات؛ وإذا كانت العبادات تنظم صلة الإنسان بربه من الصلاة والصيام، والزكاة، والحج وغيرها ؛ فإن المعاملات تنظم صلة الإنسان بنفسه، ومع أخيه، ومجتمعه، فوق صلته بربه في اتباع ما أحلَّ، واجتناب ما حرّم، سبحانه وتعالى، في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والإسلام اعتبر العمل والكسب إذا أخذ في حلِّه: عبادة ؛ يؤجر عليها الإنسان المستخلف في الأرض، فمفهوم العبادة في الشريعة واسع ورحب، لا يقتصر على الصلاة، والصيام، والحج وغيرها ؛ بل إن جميع الأعمال والمهن والحرف التي يتوصل بها الإنسان، أو بشيء منها إلى القيام بواجبات النفس، أومن يعول، أوفيها خدمة للمجتمع الإنساني، فهي من العبادات، وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل بنصها، أو فحواها، أو لازمها على هذا الأمر، والغرض من هذه المقدمة البسيطة: بيان عظمة الشريعة الإسلامية، وأنها جاءت لعمارة الدنيا، والسعي للأخرة، وأنها لا ترضى من أتباعها أن يكونوا عالةً على غيرهم أفراداً، وجماعات، وأوضحت النصوص الشرعية أن العبادة في الإسلام مفهومها واسع ورحب، لا يقتصر على الشعائر المعلومة من الدين بالضرورة.

وسوف نخصص الكلام في هذا البحث عن نوع من الأعمال الذي له أهمية كبيرة في المجتمع وهو العمل المهني بالتعرض له بالتعريف ومفهومه في الإسلام وأهميته وأهداف الإسلام من العمل المهني، وبعض القيم والآداب العامة والخاصة للعمل المهني.

تعريف العمل المهني: –

العمل هو كل إجهاد ذهني أو عضلي يهدف به الإنسان إلى إيجاد شيء يسد به بعض حاجاته[١]

أو" العمل هوكل جهد يبذله الإنسان – ذهني أو بدني – لخلق منفعة اقتصادية أو زيادة منفعة شيء موجود "[٢]

والمهنة هي العمل يحتاج إلى خبرة ومهارة، وحذق بممارسته[٣]

ومن التعاريف السابقة يمكن تعريف العمل المهني بأنه " كل إجهاد ذهني أو عضلي يحتاج إلى خبرة ومهارة، وحذق بممارسته ".

مفهوم الإسلام للعمل المهني: –

إن العمل المهني في حقيقته الواقعية سلوك ظاهر يخفي وراءه دوافع متباينة بحسب تباين الناس في أهدافهم وغاياتهم ومصالحهم، وبحسب تنوع خلفياتهم العلمية والثقافية والحضارية، والعمل بشكله الظاهر يتشابه عند سائر البشر، ودوافعه المختلفة يمكن أن تصنف إلى اتحادات أو مجموعات من الدوافع أو الحاجات المعروفة، كدافع الأكل أو الشرب، والأمن، والتملك أو البقاء، أو غيرها. هذا إذا أردنا التفسير الأقرب أو الأسهل ؛ لكن على فرض توفر هذه الحاجات، وبالتالي عدم بروز أي منها بصفتها دافعاً يدفع الفرد نحو العمل، فهل يكتفي الإنسان بالقعود والاستمتاع بما يملك ؟

الذي يظهر من التأمل في واقع الحياة البشرية أن الإنسان في الغالب لا يمكن أن يظل ساكناً لا يتحرك، وأنه لابد أن يعمل، وأنه ذو مطالب لا تنتهي، وأنه ما إن يحقق مطلباً حتى يبدأ العمل على تحقيق مطلب آخر، وأنه بدون عمل مثمر يفقد طعم الحياة ويفقد معناها، ويصيبه الملل والضجر، ولا ينفي هذه الحقيقة ما يعرض للفرد في حياته عندما يتوقف عن العمل لسبب من الأسباب، وهو توقف مؤقت أو اضطراري في غالب الأحيان.

(١) العمل الاقتصادي من وجهة نظر الإسلام للدكتور رؤوف شلبي: ص٥

(٢) مقومات العمل في الإسلام، عبدالسميع المصري: ص١٠

(٣) الحرف تصور اسلامي للدكتور محمد رواس قلعه جي: ص٢

والذي يهمنا ونحن بصدد الكلام عن العمل المهني في الإسلام هو التفسير الإسلامي للعمل حيث يصفه بأنه سلوك بشري عام ؛ يقول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" (١)

يا أيها الإنسان: أي جنس الإنسان عامة ؛ فهو كادح، والكادح هو العامل باجتهاد، ولابد له أن يكدح بحكم ما أودعه الله سبحانه وتعالى من استعداد فطري جبلي نحو هذا الكدح، وسيلاقى نتيجة كدحه إن خيراً أو شراً.(٢)

فالآية نص في أن جنس الإنسان يتصف بهذه الصفة، فمن طبعه الكدح والعمل والسعي.

وفي آية أخرى يقول سبحانه: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ "(٣)

وهي أيضاً عامة لجنس الإنسان، خلقه الله في كبد، أي في شدة، يكابد هذه الحياة بما فيها من مسرات ومضرات، أو كما اختار ابن جرير في تفسيرها: " إنه خلق يكابد الأمور ويعالجها " (جامع البيان، الطبري: ١٩٨/٣٠).

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: " إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى" (٤)، فالسعي الذي يقوم به بنو آدم متنوع يغطي كثيراً من مجالات العيش ومناحي الحياة.

ومن الأحاديث نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها " (٥)

فالناس كلهم يغدون ويروحون ويعملون، فمنهم من يبيع نفسه بيعة رابحة يعتقها بها من المصير السيئ ؛ ومنهم من يوبقها في العذاب، والمهم هو أن هذا في كل الناس، فكلهم يغدوون ؛ ومعنى ذلك أن من طبيعتهم الحركة والعمل والسعي، وأن ذلك من فطرتهم التي فطرهم الله عليها، وهذا ما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع كثيرة من كتبه انطلاقاً من حديث آخر، يقول الرسول صلى الله عليه

(١) سورة الانشقاق: الآية ٦

(٢) أضواء البيان، محمد أمين الشنقيطي: ١١٥/٩ – ٣٩٨/٤

(٣) سورة البلد: الآية ٤

(٤) سورة الليل: الآية ٤

(٥)صحيح مسلم: ٢٠٣/١

وسلم فيه:"أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبدالله و عبدالرحمن وأصدقها حارث وهمام"(١).

فقوله صلى الله عليه وسلم أصدقها حارث وهمام، أي أصدقها في وصف حال الإنسان حارث وهمام ؛ فمن طبعه أن يهم، والهم هو مبدأ الإرادة، ومن طبعه أن يحرث، أي يتحرك ويعمل ويسعى، وفي ذلك يقول ابن تيمية: " فإن الإنسان حساس متحرك بالإرادة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: أصدق الأسماء الحارث وهمام... فإن الإنسان لابد له من حدث ؛ وهو العمل والحركة والإرادة، ولابد له من أن يهم بالأمور ؛ منها ما يهم به ويفعله، ومنها ما يهم به ولا يفعله " (٢)

ويقول أيضا: " وقوله: أصدق الأسماء: حارث وهمام ؛ لأن كل إنسان همام وحارث، والحارث الكاسي العامل، والهمام الكثير الهم – وهو مبدأ الإرادة – وهو حيوان، وكل حيوان حساس متحرك بالإرادة " (٣)

ومن ذلك كله يتبين لنا أن الإنسان في عمله المهني إنما تستجيب لفطرة مغروسة في خلقته وطبيعته من الخالق البارئ جل وعلا. ويعني ذلك أن هذا الرصيد الفطري هو أهم عنصر يمكن أن يوظف في الترغيب في العمل والجد فيه، ومن ذلك يتبين لنا حقيقة تفسير الإسلام للعمل بأنه سلوك بشري عام يلبي ميلا أو اندفاعاً فطرياً نحو الإنجاز تنطوي عليه طبيعة الإنسان.

ولكن الإسلام في نظرته الشمولية إلى الإنسان وتفسير سلوكه لا يقتصر على الاعتراف بدافع واحد من دوافع الفطرة يفسّر بها ميل الإنسان نحو العمل والحركة والنشاط، فلا يفسّر ذلك بدافع الإنجاز فقط، وهو دافع فطري طبيعي، ولكنه يعترف بكل دوافع الفطرة، ومنها دافع التملك، وهو دافع فطري كذلك. ولاشك أنه من الدوافع القوية في تحريك السلوك البشري، وله دور كبير في تحريك الإنسان نحو العمل، لأن العمل وممارسة المهنة سبيل إلى تحصيل المال وميل الإنسان نحو التملك، أو الحصول على المال أنما هو بدافع فطري طبيعي، ويظهر ذلك واضحاً في بعض الآيات والأحاديث التي اشتملت على هذا المعنى

(١) صحيح سنن ابي داود للألباني: ٩٣٥/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ٤٥٧/٨

(٣) مجموع الفتاوي لابن يتيمة: ٤٣/٧

نذكر منها قوله تعالى: " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ".(١)

ومن السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب"(٢)

فهذه الآية وهذا الحديث يكشف لنا نظرة الإسلام لميدان العمل والمهنة، وأن الإسلام إنما يؤسس تشريعات العمل ويضع له المبادئ والقيم من واقع نظرته الشمولية للجهد البشري في مجال العمل بصفته جزءاً من حركة الإنسان المستمرة التي هي جزء من طبيعته، فالإنسان كائن متحرك ومخلوق لا يترك إرادة تحركه، فهو يحتاج إلى توجيه يدفعه إلى فعل ما فيه خير له وللمجتمع، ويصرفه عن فعل ما فيه شر له وللمجتمع. فلذلك جاءت تعاليم وتوجيهات الإسلام متوافقة مع طبيعة البشر، واستغلال الإنسان ما أعطاه الله من نعم واستثمارها في منفعة نفسه ومنفعة المجتمع وفق المبادئ والقيم التي أقرها الإسلام.

أهداف الإسلام من العمل المهني: -

الإسلام يدعو إلى العمل عامة وإلى العمل المهني خاصة، حتى يحقق الإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، ويعرف حقيقة وجوده في هذه الحياة، وأن الإنسان خلق لمهمة عظيمة، وهي: الاستخلاف في الأرض لعمارتها ؛ كما قال تعالى: " هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " (٣)

قال زيد بن أسلم في معنى الآية: " أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار "(٤)

وقال تعالى أيضاً: " وَهُو الَّذي جَعَلَكُم خَلائِفَ الأَرضِ وَرَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ ".(٥)

---

(١) (آل عمران: الآية ١٤)

(٢)(صحيح البخاري: ٧/١٢، وصحيح مسلم: ٧٢٥/١)

(٣) (سورة هود: الآية ٦١).

(٤) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٨/٩)

(٥) (سورة الأنعام: الآية ١٦٥)

قال القرطبي: " أي: جعلكم خلفاً للأمم الماضية، والقرون السالفة ". [١]

وفوق هذا كله سخر الله تعالى له الأنعام ؛ ليستفيد منها في أداء مهمة الإستخلاف ؛ كما قال تعالى: " وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ". [٢]

ويمكن تلخيص أهداف الإسلام من الدعوة إلى العمل والسعي للكسب في عدة نقاط من أهمها ما يلي: –

١ – المحافظة على كرامة الإنسان:

تتحقق المحافظة على كرامة الإنسان بتحقيق حياة كريمة عزيزة، تتمثل في هذا الجانب ؛ بتجنيبه الوقوع في المذلة، عن طريق سؤال الناس والطلب منهم والتي يبذل فيها ماء وجهه، من غير ضرورة ولا حاجة.

وتحقيق هذا الهدف جاء عن طريق تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته، حيث سلك طريقين في تربية أصحابه وأمته لتحقيق هذا الهدف:

– **الطريق الأول:** بين النبي صلى الله علي وسلم لأصحابه وأمته بشاعة السؤال من غير حاجة، والوعيد الشديد للذي يسأل الناس من غير بأس ؛ أو يسألهم تكثراً. فلقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، عقوبة من بذل ماء وجهه، وجمع الأموال من غير حلها ؛ عن طريق التسول من غير حاجة ؛ أو ضرورة: أنه يعاقب من جنس عمله فلكونه، أذل وجهه بالسؤال، فإنه يعاقب فيه، فعن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم ".[٣]. قيل يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له، وقيل: هو على ظاهره، فيحشر يوم القيامة ووجهه لا عظم ولا لحم عليه ؛ عقوبة له [٤] ولحرص المتسول على جمع المال، وتكثيره من دون عناء، وإنما باستجلاب عطف ورحمة الناس به، وهو في غاية الراحة وعدم السعي في العمل ؛ يكون هذا المال وقوداً له يوم القيامة ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

(١) (الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/٧).

(٢) (سورة يس: الآية ٧٢).

(٣) (فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٣٣٨/٣)

(٤) (شرح صحيح مسلم للنووي: ١٠٧/٧)

الله صلى الله عليه وسلم: " من سأل الناس أموالهم تكثيراً ؛ فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر ". (١)

ولقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم، الرجل القادر على العمل في منزلة الغني، ومنع إعطاءه من الزكاة والصدقة، وأكد ذلك حينما جاءه الرجلان يسألانه الصدقة، فقال لهما بعد أن صعد النظر فيهما: " لاتحل الصدقة لقوي مكتسب ولا لذي مرة سوي " (٢)، وبين صلى الله عليه وسلم متى يجوز للقادر على الاكتساب سؤال الناس، وذلك في حديث قبيصة بن المخارق رضي الله عنه حينما تحمل حمالة، وجاء يسأل، فقال له: " يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، ورجل أصابته فاقة، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش....". (٣)

ولقد أدرك الصحابة ما كان يقصده النبي صلى الله عليه وسلم، من كل هذا فاجتهدوا في تحقيق الهدف فوصل الحال بأغلبهم إلى درجة أن يسقط سوطه فلا يسأل أحداً يناوله إياه، بل ينزل بنفسه ويحمله بيده، وكانوا عُمَّال أنفسهم، وكانت لهم مهن وصناعات معلومة.

فيقول عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: " لأن أموت من سعي على رجلي، أطلب كفان وجهي أحب إلى من أن أموت غازياً في سبيل الله ". (٤)

ويقول قيس بن عاصم رضي الله عنه: " أوصيكم بتقوى الله – ثم ذكر وصية طويلة إلى أن قال: – وعليكم بالمال واصطناعه فإنه منبهةٌ للكريم، ويستغني به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس، فإنها أخس كسب الرجل ". (٥)

- **الطريق الثاني:**

تفضيل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف، حيث بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإسلام لا يرضى أن يعيش المسلم على هامش المجتمع، أو أن يكون معدوم

---

(١) (صحيح مسلم: ٧٢٠/٢)

(٢) (اخرجه ابن ماجه: ٥٨٩/١، ونصب الراية للزيلعي: ٢/ ٣٩٩)

(٣) (صحيح مسلم: ٧٢٢/٢).

(٤) (تلبيس ابليس لابن الجوزي: ص ٤٥٤).

(٥) (الجامع لشعب الإيمان للبيهقي: ٤١٩/٣-٤٢٠)

الهدف في الحياة، أو أن يصبح أسير الكسل والبطالة، وهذه المعاني كلها رسخها النبي صلى الله عليه وسلم في مفهوم الناس نظرياً وعملياً، فكان عليه الصلاة والسلام يأتي محترفي الأعمال المهنية في أماكن أعمالهم، ويلاطفهم ويخالطهم، ويحضُّهم على العمل، ويذكرهم بأشراف الناس من الأنبياء والمرسلين، وأنهم كانوا يمارسون الأعمال اليدوية، ويأكلون من عمل أيديهم، فعن المقداد بي يعد يكرب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده ". (١)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين لهم أن المؤمن القوي خير، وأحب عند الله من المؤمن الضعيف فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ". (٢)

والمقصود بالمؤمن القوي أي القوي بإيمانه، وعبادته، وجهاده، وكسب عمله، وفي كل شؤون حياته، فهو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف العاجز الخامل الكسول.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يثبت لهم بالتجربة أن الكسل، إنما هو وسواس يتقلده العاطلون، وأن أبواب الرزق عديدة، ليس على الإنسان إلا السعي في طلب الرزق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رجلاً من الأنصار شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الفاقة، فقال له: " انطلق هل تجد من شيء " فانطلق، فجاء بحلس وقدح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من يأخذهما مني بدرهم ؟ " فقال رجل: أنا يا رسول الله ؛ فقال: " من يزيد علي درهم ؟ " فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فقال: " هما لك ". قال: فدعا الرجل فقال له: " اشتر فأساً بدرهم، وبدرهم طعاماً لأهلك "، قال: ففعل، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " انطلق إلى هذا الوادي ولا تأتي خمسة عشر يوماً "، فانطلق فأصاب عشرة دراهم، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره فقال: لقد بارك الله فيما أمرتني، فقال: " هذا خير لك من أن تجئ

(١) (فتح الباري: ٣٠٣/٤)
(٢) (صحيح مسلم: ٢٠٥٢/٤)

يوم القيامة في وجهك نكتة المسألة، وإن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي دم موجع، أو غرم مفظع، أو فقر مدقع ". قال البيهقي: " قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث أمر بالكسب، ونهى عن المسألة عند القدرة على الكسب " [١]

فهذه التربية العظيمة المتميزة التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي لا تركن إلى الخمول والكسل والاعتماد على الغير، شجعت أصحابه ودفعتهم إلى العمل بجميع أشكالها سواء الأعمال المهنية أو التجارية أو الزراعية، بل أعانت وساعدت الفقراء على اكتساب صنعة بصورة عملية، باعتبارها أماناً من الفقر، مع التوكل على الله سبحانه وتعالى.

ولبعد كثير من الناس عن هذه التوجيهات السامية من النبي صلى الله عليه وسلم انتشرت البطالة في صفوف البعض منهم، فانتشر التسوُّل عندهم، واعتقدت غالبية من الفئة العاطلة أن العمل يوجد في الوظائف الحكومية فقط، فتسبب هذا الاعتقاد في فراغ السوق من العمالة الوطنية، وبالتالي انتشار العمالة الوافدة بأجناسها المختلفة، وبعقائدها المتنوعة، وبأخلاقها المتفاوتة، ولقد تنبه لهذا الأمر " أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين دخل السوق في خلافته، فلم ير فيه إلا النبط في الغالب، فاغتَّم لذلك، فلما أن اجتمع الناس أخبرهم بذلك، وعاتبهم في تركهم السوق، فقالوا له: إن الله عز وجل – قد أغنانا عن الأسواق بما فتح به علينا، فقال: والله لئن فعلتم ليحتاجنَّ رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم ". [٢]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " لولا هذه البيوع صرتم عالة على الناس " [٣]

٢ – تقوية المجتمع الإسلامي:

إذا كانت حاجة الفرد إلى سؤال الغير، مذلة ؛ كذلك حاجة المجتمع إلى غيره من المجتمعات دليل على عدم قوته وضعفه، وعجزه عن مجاراتهم واللحاق بمن نجحوا في هذا المجال، فيعتبر العلماء وجود الصناعات والحرف في الدولة دليلاً على قوتها ومتانتها.[٤]

(١) (الجامع لشعب الإيمان للبيهقي: ٣/٤٠٤-٤٠٥).
(٢) (المدخل لإبن الحاج: ٢/٨٣)
(٣) (المصنف لابن أبي شيبه: ٤/٤٦٩)
(٤) (مقدمة ابن خلدون: ص ٣٠٤)

وهذا هو الواقع في عصرنا الحالي حيث نجد أن الصراعات بين الدول الكبرى فيمن يتفوق على الآخر في الصناعات المبتكرة والتقنيات الحديثة، وفي حصيلة المعارف العلمية والفنية، واكتشاف واستخراج المواد الأساسية الأولية، وكيفية الاستفادة منها من خلال تكريرها وتصنيعها، فالدول التي تتميز في هذا المجال تفرض قوتها وسيادتها العلمية على غيرها بما تقدمه من إنتاج وصناعة هي ثمرة عقول أبنائها وانتاجهم ؛ والإسلام يفرض على المسلم أن يتعلم، وأن يكون مجتمعه مجتمع علم، وأن ينتفع بهذا العلم في جميع مرافق الحياة.

وينص العلماء في هذا الجانب على العلم الواجب عينياً، والعلم الواجب كفائياً، ويجعلون من الواجب الكفائي العلم بالمعارف والصناعات والحرف التي تسدُّ حاجة المسلمين ؛ كالطب، والحساب، والحياكة، والنجارة، والحدادة، وعلم الفلك، وسائر ما يحتاجه الناس في معايشهم.(١)

وهذا تطبيق للقاعدة الفقهية الأصولية المعروفة: " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "، فالجهاد في سبيل الله فرض كفاية، ويكون فرض عين في حالات، وهذا الجهاد يقوم على إعداد العدة القوية لإرهاب العدو، وقد أمر الله بها في قوله تعالى: " وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّة وَمِن رِباطِ الخَيلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُو اللَّـــهِ وَعَدُوَّكُم وَآخَرينَ مِن دونِهِم لا تَعلَمونَهُمُ اللَّـــهُ يَعلَمُهُم وَما تُنفِقوا مِن شَيءٍ في سَبيلِ اللَّـــهِ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لا تُظلَمونَ " (٢)، أي كل ما تقدرون عليه من القوة العلمية، والعقلية، والبدنية، وأنواع الأسلحة، مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات، التي تستعمل فيها أصناف الأسلحة، والآلات من المدافع، والبنادق، والصواريخ، والطائرات، والمراكب البحرية والبرية، والرأي، والسياسة، ولهذا قال تعالى: " ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ". وهذه العلة موجودة في ذلك الزمان، وهي: إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا وجد ما هو أكثر إغلاظاً من ذلك، وتكون النكاية في أشد، كان مأموراً بالاستعداد به، والسعي لتحصيله، وإذا لم يوجد إلا بتعلم الصناعة وجب ذلك ؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالوسيلة إلى الواجب واجبة،

(١) (الإحياء للغزالي: ١٦/١، والطرق الحكمية لابن قيم الجوزية: ص٢٤٧)
(٢) (سورة الأنفال: الآية ٦٠)

والوسائل في هذا المضمار كثيرة منها: العلوم الهندسية ، والكيميائية، والرياضية، ولا يحصل التفوق إلا بها.

وهناك مثلا حفظ النفس، والسعي في إحيائها، وهي من الضروريات الخمس، ولم يعد الحفاظ عليها قاصراً على حمايتها من الاعتداء عليها، أو قائماً على التطبيب الشعبي البدائي، بل أن الأمر أصبح علوما طبية في غاية الدقة والأهمية والمهارة، وتخصصات فرعية لبعض الحالات والأعضاء، وطرق كثيرة لصناعة الأدوية، وكيفية العلاج، ودراسة التمريض، وأنشأت الكليات والمعاهد الصحية المهنية، والمختبرات، لتحقيق هذا الأمر.

٣ – التعاون والتكاتف من أجل استمرار الحياة:

إن الله تعالى خلق الخلق، وجعل لهم قانوناً ونظاماً يسيرون عليه، لا يخالفونه، حكمة منه سبحانه وعدلاً، وسخر لهم مخلوقاته، وأوجدها لهم، سبحانه وتعالى، ليستعينوا بها على طاعته، وجعل لكل شيء قدراً، فلأجل أن تستمر الحياة شرع لهم الزواج ليتكاثروا، وأمرهم بالحرث والسقي ليأكلوا ويشربوا ومن ذلك: أن سخر بعضهم لبعض ؛ ليتعاونوا، ويتكاتفوا في استمرار الدفع بعجلة الحياة إلى أن يشاء الله تعالى.

وقد بيَّن تعالى هذا بقوله: " هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ".(١)

قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: " إنه فاضل بينهم، فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق، والرياسة، والقوة، والحرية، والعقل، والعلم، ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال: " ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريًّا " أي: ليستخدم بعضهم بعضاً، فيستخدم الغني الفقير، والرئيس المرؤوس، والقوي الضعيف، والحر العبد، والعاقل من هو دونه في العقل، والعالم الجاهل، وهذا في غالب أحوال الدنيا، وبه تتم مصالحهم، وينتظم معاشهم، ويصل كل واحد منهم إلى مطلوبة، فإن كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين، فجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الحياة الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا ". (٢)

---

(١) (سورة الزخرف: الآية ٣٢)

(٢) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: ٤/٥٥٤)

وهذه حكمة ظاهرة تدرك بأوائل العقول قبل أواخرها، فقد خلق سبحانه وتعالى لكل نوع من الحرف أناساً لتقوم المصالح كلها ويرتبط الناس بعضهم ببعض، فيصير كل منهم محتاجاً للآخر، لا يستغني أحد عن أحد، ولو كان الناس جميعاً متساوين في الطاقات والقدرات، لاستحال العمل، ولاستحال خضوع كل منهم للآخر، بل إنك لتجد الذين في البلاد البعيدة، والأقطار النائية لما توسعت أسباب المكاسب اضطر بعضهم إلى بعض وانفتحت طرق كثيرة لتحصيل الرزق، فتبارك الرزاق الحكيم.(١)

القيم والآداب العامة والخاصة للعمل المهني: –

لكل عمل ومهنة قيم وآداب خاصة بها، وقد تؤلف بعض الكتب تختص بآداب بعض المهن مثل كتاب أخلاق الطبيب للرازي وهذا خاص لمهنة الطبيب، وكتاب الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن على بن محمد المعافري القابسي المالكي وهذا الكتاب خاصة لمهنة التعليم، فكل مهنة لها آداب وقيم تختص بها عن غيرها، وهناك آداب وقيم عامة تشترك فيها كثير من المهن والأعمال، والعمل المهني كغيره من الأعمال له آداب وقيم يجب أن يلتزم بها كل من يمارس هذا العمل وأن تكون هذه القيم والآداب ملازمة له باستمرار وهذه القيم والآداب منها ما هو عام ومنها ما هو خاص بالأعمال المهنية، وسوف نذكر منها ما يلي: –

١ – مراقبة الله في العمل.

فمراقبة الله مطلوبة دائماً في السر والعلن وفي كل عمل يعمله الإنسان لأن نتائج هذا العمل تدور بين الحل والحرمة بحسب مراقبة الإنسان لله في العمل الذي يؤديه والتزامه فيه بالأوامر الشرعية أو ابتعاده عن شرع الله، ونجد تأثير هذه المراقبة في الإنسان، من خلال القرآن الكريم، عند قراءة الآيات التي تدل على سعة علم الله وإحاطته بكل شيء وعلمه بما تخفى الصدور وما تعلن، وقد أثرت هذه المراقبة أبلغ التأثير في أجيال المسلمين، وخاصة في عصر صدر الإسلام، حيث كانوا يراقبون الله في عبادتهم وأعمالهم.

(١) (المبسوط للسرخسي: ٣٠/٢٦٤-٢٦٥)

٢ – الأمانة.

وهذه الصفة من الصفات المهمة التي يجب أن يلتزم ويتصف بها كل شخص عموماً، لأن الأمانة مرتبطة بالإيمان، كما جاء في الحديث " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له ". (١)

والأمانة ذات مكانة خاصة في العمل المهني، أوالعمل بالأجرة، يدل على ذلك قوله تعالى: " **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**"(٢)

ولذلك جاء التأكيد على الأمانة في التعاملات التجارية والمهنية، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث عليها، ويتابع الناس في تطبيقها في معاملاتهم، ويحاسبهم عليها. أخرج الإمام مسلم في صحيحه: " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا: فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال أصابته السماء يا رسول الله ! قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني " (٣)

والأمانة مبدأ عام يجب على الجميع الالتزام به، ولا شك أن مجال الأمانة في العمل المهني مجال واسع يتعلق بجودة الصنعة، وجودة الخامات والمواد وجودة الأدوات التي يستخدمها، وجودة اختيار العمالة المساعدة له.

٣ – إتقان العمل.

لا شك أن إتقان العمل أمر محبوب لله، ومن تتبع ما يحبه الله وعمله في مجال مهنته فإن عمله المهني يكون عبادة وذلك كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ".(٤)

ولا شك أننا بحاجة إلى العمل المتقن في كل وقت ؛ وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الصناعات، وأصبحت الأجهزة معقدة التركيب، ودخلت الآلة في جوانب كثيرة من حياة البشر، فأصبح الإتقان ضرورة لازمة للحفاظ على جودة المنتجات.

---

(١) (صحيح الجامع للألباني: ١٢٣/٦)

(٢) (سورة القصص: الآية ٢٦)

(٣) (الجامع الصحيح للإمام مسلم: ٩٩/١)

(٤) (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ١٠٦/٣-١٠٧)

٤ – الإخلاص في العمل.

فالإخلاص من أهم القيم التي ترتبط بالعمل المهني فترفع درجته في ميزان الله ؛ لأن الإخلاص في العمل وبذل الجهد في سبيل أدائه على الوجه الصحيح الذي يرضي الله سبحانه وتعالى ويحقق الفائدة المرجوة لعباده، يجعل مردوده المادي – في ميزان الله – خير مردود، كما جاء في الحديث ؛ " خير الكسب كسب العامل إذا نصح ". (١)

٥ – القوة في أداء العمل.

وهذه الصفة مطلوبة في كل مجالات العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ".(٢)

فالمؤمن مطلوب منه أن يكون قوياً في كل شيء في إيمانه، وفي أفعاله، وفي أقواله لأن المؤمن القوي أحب إلى الله، وصفات القوة والهمة والنشاط مهمة جداً للعمل المهني ؛ كما قال تعالى. "**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**".(٣)

وقد جاء في بعض كتب التفسير أن قوة موسى عليه السلام قوة جسمية عملية ؛ إذ لاحظت ابنة شعيب قوته عندما رفع حجراً عن فوهة البئر لا يستطيع رفعها عادةً إلا مجموعة من الرجال (٤).

ولاشك أن القوة في العمل لها أشكال متعددة في المعرفة المهنية والقوة في تنفيذ المهام المطلوبة منه والالتزام بها.

٦ – الاعتماد على النفس.

وهذه من الصفات المهمة لأن الإنسان يجب عليه أن يعتمد على نفسه ويستغنى عن الغير، وقد ورد في بعض الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ".(٥)

---

(١) (مسند الإمام أحمد: ٣٣٤/٢)

(٢) (صحيح مسلم: ٢٠٥٢/٣)

(٣) (سورة القصص: الآية ٢٦)

(٤) (جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري: ٦٣/٢، وفتح القدير للشوكاني: ٢٣٩/٤)

(٥) (صحيح البخاري: ١٢٩/٢)

وكذلك جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر: " أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة واليد السفلى السائلة ". (١)

والاعتماد على النفس يكتسب بالمحاولة المتكررة، كما جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله ".(٢)

٧ – الشفافية في تنفيذ العقود.

العمل المهني ممارسة وتعامل ؛ قد يكون بين طرفين أو أكثر، وقد يتضمن عقداً أو اتفاقاً على نوع العمل المطلوب والوقت الكافي لتنفيذه، والمقابل المادي على هذا العمل، وغير ذلك.

وهذا الاتفاق يعتبر عقد ملزم للطرفين، فلا بد فيه من الشفافية والوضوح والدقة، منعاً للاختلاف وما يؤدي إليه هذا الاختلاف من سوء فهم، أو عداوة، أو بغضاء.

ويمكن كتابة العقد بين المتعاقدين وتوضيح كل ما هو مطلوب من أطراف العقد حتى لا يحصل الاختلاف بينهم.

٨ – الالتزام بالمواعيد.

تحتوي عقود العمل غالباً على مواعيد محددة لبدء التنفيذ والتجهيز والإنجاز والتسليم، ولكن قد يكون فيه تجاوزات كثيرة فيما يتعلق بالمواعيد، مثل التأخير أو المماطلة، مما قد يسبب ضرر للطرف الآخر، والمهني المسلم يجب عليه أن يتأدب بآداب الإسلام؛ ومنها الوفاء والالتزام بالمواعيد، إذ أن إخلاف الوعد من صفات المنافقين.

٩ – المحافظة على أدوات العمل وصيانتها.

لكل مهنة أدوات وأجهزة خاصة بها. لا تقوم هذه المهنة إلا بوجود هذه الأجهزة والمعدات الخاصة بها وإذا أهملت هذه الأجهزة والمعدات تعطل سير العمل لهذه المهنة، وقد يتسبب بأخطاء كبيرة، وتأخير للعقود المتفق عليها فلذلك لا بد من المحافظة على الأجهزة والمعدات وصيانتها باستمرار حتى تدوم منافعها لأصحابها.

---

(١) (صحيح مسلم: ٧١٧/١)

(٢) (صحيح البخاري: ١٢٩/٢)

١٠ – تخصيص ملابس خاصة بالعمل.

ونقصد بذلك ملابس غير الملابس المعتادة التي يمارس فيها الفرد حياته العامة بما فيها من عبادات وزيارات ومخالطة للآخرين، وذلك لأن لكل مهنة آثارها التي تظهر على الملابس والهيئة. فمن الأفضل أن يكون هناك ملابس خاصة بالعمل المهني يستخدمها عند ممارسته للعمل، فإذا انتهى من عمله، يمارس حياته بهيئة العادية الطبيعية المتعارف عليها في مجتمعه.

وذلك لأن ملابس العمل تساعد على الحركة، لأنه يراعي فيها غالباً أن تكون مناسبة وعملية، كما يراعى فيها جانب السلامة والوقاية من الأخطار المتوقعة لبعض الأعمال المهنية في بعض الصناعات، مثل المواد الكيميائية الخطيرة أو المواد التي تسبب أضرار على الجهاز التنفسي أو الجلد أو العيون، وغيرها.

١١ – النظافة بعد أداء العمل المهني.

العامل المهني معرض للتلوث بالمواد التي يباشرها في عمله من زيوت، ودخان، وغبار، وروائح، وأصباغ، وغيرها. وحتى يحافظ على صحته يجب أن يغتسل من آثارها، خاصة في هذا الوقت الذي كثر فيه استخدام المواد الكيميائية في الصناعة، وكثير من هذه المواد تضر بصحة الإنسان. كما أن في الاغتسال تخلص من الروائح الكريهة التي يتأذى بها الآخرين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّال أنفسهم، وكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: لو اغتسلتم " [١]، وأرواح: أي روائح كريهة، وفي لفظ: كان الناس مهنة أنفسهم، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم، فقيل لهم: " لو اغتسلتم ".[٢]

١٢ – التجهيز للحياة العامة خارج العمل.

الحياة العامة هي أماكن التقاء الناس وهي أماكن مفتوحة للجميع، مثل المساجد، والأسواق، والحدائق، والمقاهي، وصالات المناسبات، وغيرها، وينبغي أن يكون التقاؤهم بعد العمل بهيئة مقبولة، لأن الإنسان وهو يمارس عمله قد يعاني من العرق،

(١) (صحيح البخاري: ٩٠٨/٣)

(٢) (صحيح البخاري: ٢١٧/١)

أو الغبار، أو الزيوت، أو المواد التي تسبب اتساخ ملابسه أو جسمه، وقد يظهر منها روائح غير مقبولة خارج حدود بيئة العمل.

لذلك يجب التجهز والاستعداد للحياة العامة بإستعداد خاص، وملابس نظيفة، ورائحة طيبة، وخاصة عند حضور الجمعة والجماعة في المساجد.

ونذكر بهذا الخصوص قول النبي صلى الله عليه وسلم:

" ما على أحدكم – إن وجدتم – أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته ". (١)

هذه مجموعة من القيم والآداب التي يستحسن بالأفراد أن يتأدبوا بها ويطبقوها في حياتهم بشكل عام، وفي بيئة العمل المهني بشكل خاص.

(١) (صحيح سنن ابي داوود للألباني: ٢٠١/١)